العــزة
حقيقتها وآثارها

الدكتور / عبد الله بن محمد العمرو
قسم الثقافة الإسلامية- كلية الشريعة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فإن العزة خلق من أخلاق الإيمان ، وهو موثوق الصلة به يقوى بقوته، ويهن بوهنه وضعفه ، والحديث عن العزة حديث عن سمو هذا الدين وعلوه وكماله في أحكامه وتشريعاته.

والمسلم حين يتمثل العزة في حياته ينبعث إلى مصالحه الدينية والدنيوية بقوة وطمأنينة مترفعاً عن الدنايا والرذائل ، يأنف أن يقف مواقف الذلة والصغار اجتلاباً لعرض من أعراض الدنيا ، أو استبقاءً لما في يديه منها . كما يصون نفسه من الخضوع لغير الله والذلة بالتحاكم إلى غير شرعه .

والمسلم حين تغمر العزة قلبه ينهض لدفع الضيم ، ورد العدوان ، ونصرة المظلوم . كما يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقعده عن ذلك رغبة أو رهبة .

والأمة المسلمة متى أخذت بأسباب العزة فإنها تشرق حتى تملأ الأرض نوراً ورحمة وعدلاً وهداية ، وتتوقد فتكون ناراً وغلظة وشدة على أعدائها ، والمتربصين بها ، بل لا يقف ــ حينئذ ــ في وجهها أمة من الأمم.

واليوم أمام الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين ، ولما تعانيه المجتمعات الإسلامية من ضعف ووهن ، تتجدد الحاجة إلى الحديث عن العزة تعريفاً بها ، وبياناً لأساسها ووسائل تحصيلها وآثارها الخيرة ، لتكون عاملاً مهماً في ثبات المسلم على دينه وقيمه ، وقيامه بواجبه ووظيفته في الحياة. وليصمد أمام الهجمة الغربية الجاهلية العاتية وغيرها من الدعوات المضلة .

ولم أقف ــ فيما تيسر لي على بحث مستقل عن هذه القيمة الخلقية الرفيعة إلا مــا كتبه الشيخ/ محمد بن عبد الله الهبدان بعنوان:(العزة ــ مصدرها ــ أسبابها ــ مواقف ــ وأحداث) في بحث مختصر ومفيد ، إلا أنه أكثر فيه من الأمــثلة والشواهد ، وفي المقابل أجمل القول في أسباب العزة ومصدرها ، كما فاته الحديث عن بعض الأسباب المهمة لتحقيق العزة . مما لا يغني عن الحديث عن هذا الخلق النبيل ، وتفصيل القول فيه.

وقد جاء الحديث عن هذا الموضوع في ثلاثة مباحث مسبوقة بمقدمة وتمهيد وهي على النحو الآتي :

المبحث الأول : أساس العزة .

المبحث الثاني : وسائل العزة . وقد جاء هذا المبحث في مطلبين :

المطلب الأول : وسائل العزة للأفراد .

المطلب الثاني : وسائل العزة للمجتمع .

المبحث الثالث : آثار العزة .

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث ، ثم قائمة بأسماء المصادر والمراجع.

والله أسأل العون والتوفيق والتسديد .

تمهيـــد:

تعــريف العــزة.

١- العزة في اللغة :

العزة مصدر من :عَزَّ يَعِز ، عِزةً وعِزاً [١].

قال ابن فارس:"عز : العين والزاء أصل صحيح واحد ، يدل على شدة وقوة وما ضاهاهما من غلبة وقهر" [٢].

وقـــال ابن منظور:" العز خلاف الذل... ، والعز في الأصل :القوة والشدة والغلـــبة . والعِزّ والعِزّة : الرفعة والامتناع .. ورجل عزيز : منيع لا يغلب ولا يقهر [٣].

والعزيز: من أسماء الله تعالى وصفاته ، قال الزجاج:هو الممتنع فلا يغلبه شيء وقال غيره : هو القوي الغالب كل شيء [٤].

وقال ابن بطال : العزيز متضمن للعزة ، والعزة الكلام عليها من وجهين: أحدهما: أن تكون صفة ذات بمعنى القدرة والعظمة، والثاني:أن تكون صفة فعل بمعنى القهر لمخلوقات والغلبة لهم " [٥].

فمعـــاني هذه الكلمة في اللغة تدور حول القوة والشدة في ذات الموصوف ، والمنعة والغلبة في صلته بغيره .

---

(١)ابن منظور لسان العرب، الفيروزآبادي القاموس المحيط: باب الزاي فصل العين.مادة(عزز).

(٢)معجم مقاييس اللغة ٣٨/٤ .

(٣)لسان العرب ، مادة(عزز).

(٤)المرجع السابق ، مادة(عزز)، وانظر: ابن كثير _تفسير القرآن العظيم.

(٥)شرح صحيح البخاري ٤١٢/١٠.

٢- مفهوم العــزة في القــرآن :

قــال ابن الجوزي : " ذكــر بعض المفسرين أن العزة في القرآن على ثلاثة أوجه :

أحدها : العظمة . ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [١]،وقوله: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٢]

الثاني : المنعة . ومنه قوله تعالى: ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [٣]،

الثالث : الحمية ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ [٤]وقوله: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [٥] [٦] .

وقد جاءت تصريفات هذه اللفظة (العزة) في القرآن على أوجه أخرى منها:

- الغلبة ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ [٧].

- والشديد ، ومنه قوله تعالى: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [٨].

---

(١)الشعراء: ٤٤.

(٢)ص: ٨٢.

(٣)ا لنساء :١٣٩.

(٤)البقرة: ٢٠٦.

(٥)ص: ٢.

(٦)انظر:ابن الجوزي – نزهة الأعين النوا ظر في علم الوجوه والنظائر ص ٤٣٤- ٤٣٥.

(٧)ص: ٢٣.

(٨)براء ة: ١٢٨.

٣- العــزة في الاصطلاح :

أشـــهر ما قيل في تعريف العزة ، قول الراغب الأصفهاني:"العزة حالة مانعة للإنسان من أن يغلب" (١)

و لم تخرج تعريفات غيره عن معناها في اللغة .

فالعزة عند ابن الأثير:"القـــوة والشدة " (٢).

وعند الكفوي : "العزة : الغلبة " (٣).

٤- العزة الممدوحة والمذمومة :

يمـــدح بالعزة تارة ، ويذم بها تارة أخرى (٤). وبيان ذلك أن العزة التي لله تعالى هي العزة التامة والدائمة الباقية ، وهي العزة الحقيقية الممدوحة ومنها عزة الرســـول صلى الله عليه وسلم ، وعزة المؤمنين لأنها قوة في الحق ومنه ، وشدة على الباطل وقهر له.

وأما العزة المذمومة – عزة الكافر والفاسق – فهي الأنفة من قبول الحق ، والتعاظم بالباطل والحمية له ، كما قال تعالى:﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ** ﴾ (٥). فهي تعزز عاقبته الذل والهوان والخسران .

---

(١)المفردات في غريب القرآن / ٣٣٣ .

(٢)النهاية في غريب الحديث ٣/٢٢٨-٢٢٩.

(٣)الكليات/ ٦٣٩.

(٤)انظر : الراغب - المفردات /٣٣٣. وابن حجر- فتح الباري ١٣/٣٦٩.

(٥)البقرة : ٢٠٦.

٥ - المختار في تعريف العزة :

حـــيث تطلـــق العـــزة في لغة العرب على معاني الشدة ، والقوة والغلبة ، والقهـــر، سواء كانت بحق أو بغير حق – كما تقدم – فإنه يمكن أن يقال في تعريف العزة بعامة : إنها صفة نفسية باعثة على الشدة والقوة والامتناع .

وأما العزة المحمودة فهي : صفة نفسية باعثة على القوة في الحق، مانعة مـــن الخضـــوع للـــباطل. فهي صفه راسخة في النفس كسائر السجايا الخلقية [١]، ينمـــيها الإيمان حتى تتكامل ، ويسددها حتى تستقيم، فيتجلى أثرها في الفكر والســـلوك ؛ ثباتاً على الحق، وصلابة في الأمر، ومـــدافعة للباطل ، ومراغمة لأهله .

(١)الغزالي : إحياء علوم الدين ٥٢/٣ .

المبحث الأول : أساس العزة:

إن الإيمان هو أساس العزة ومنبعها ، لأن العزة التامة الدائمة لله تعالى وحده قال تعالى:﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [(١)].

فلا تطلب إلا منه ولا تنال إلا بالإيمان به ، قال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [(٢)]. وقال تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله:"العزة والعلو إنما هما لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ، وهو علم وعمل وحال، قال تعالى:﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [(٤)]. فللعبد من العلو بحسب ما معه من الإيمان ، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [(٥)]. فله من العزة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه ، فإذا فاته حظ من العلو والعزة ففي مقابل ما فاته من حقائق الإيمان ، علماً وعملاً ظاهراً وباطناً" [(٦)].

---

(١)النساء: ١٣٩.

(٢)المنافقون: ٨.

(٣)آل عمران :٢٦.

(٤)آل عمران ١٣٩.

(٥)المنافقون ٨.

(٦)إغاثة اللهفان : ٢ /١٨١.

وحقيقة الإيمان: معرفة ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم- علماً، والتصديق به عقداً ، والإقرار به نطقاً ، والانقياد له محبة وخضوعاً ، والعمل به باطناً وظاهراً ، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان (١).

فمن الإيمان اليقين بوحدانية الله تعالى ، وكمال ربوبيته ، وأنه المتفرد بالخلق والرزق، وكمال القدرة ، ونفاذ المشيئة ، فلا رآد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، وأنه وحده بيده النفع والضرر ، والعطاء والمنع ، قال تعالى:﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٢).

ومن الإيمان اليقين بعلم الله تعالى السابق لما يفعله العباد ، وكتابته سبحانه في اللوح المحفوظ لما سيكون إلى يوم القيامة ، وخضوع الخلق جميعاً لمشيئته وعلمه لا يخرج أحد عنهما ، قال تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٣) ، وقال تعالى:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٥)، فما من شيء يحدث من رخاء وشدة، وخوف وأمن، وصحة ومرض ، وعزة وذلة، إلا بمشيئة الله تعالى.

---

(١)ابن القيم :الفوائد ١٥٥-١٥٦.

(٢)يونس : ١٠٧.

(٣)القمر :٤٩.

(٤)الحديد : ٢٢.

(٥)التكوير: ٢٨-٢٩.

ومن الإيمان يقين المؤمن بأنه راجع إلى ربه ومحاسب بين يديه ، ومجازى على أعماله ، كما يصدق بوعد الله تعالى ووعيده ، وبما أعده لأهل طاعته من النعيم المقيم ، وبما وعد بـــه من أعرض عن سبيله من العذاب الأليم، قال تعالى:﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [1].

ومن الإيمان الإقرار بكمال شرع الله – تعالى- في أصوله وفروعه ، وشمولـــه لجوانب الحياة ، وتحقيقه لمصالح العباد في المعاش والمعاد ، وأنه لا سعادة للبشرية إلا باتباعه وإيثاره على ما سواه ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [2].

وأما أثر ذلك في غرس العزة في نفس المؤمن فيظهر من وجوه منها:

– أن الإيمان أساس حياة الإنسان ، وسر تكريمه ، والموجه لفكره وسلوكه ، قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [3]، فمتى رسخ الإيمان في النفس سمت

---

(١)البقرة : ٨١-٨٢.

(٢)طـــه: ١٢٣-١٢٤.

(٣)الأنعام: ١٢٢.

الروح ، وتطهر القلب ، وتحرر المرء مـــن سلطان الماديات وأسر الشهوات فلا يرى إلا عزيز النفس ، طاهر البدن ، رفيع الأخلاق.

- أن المـــؤمن يستمد من عقيدته العلم الصحيح ، والمعرفة اليقينية،عن حياته ومـــا بعدها، وعن سنن الكون وحقائق العالم الغيبـــي ، فالوحي " جاء بالحـــق الجلـــي في هذا الميدان مما يلبي تطلع الإنسان وحاجته ، فأخبر عن أصل هذا الكون، وأصل الإنسان، والحكمة من وجوده ، وما وراء المادي من عالم غيـــبي خاضع لإله واحد عظيم موصوف بأكمل الصفات ، وما في هذا العالم الغيبي من موجودات لها صلة بالإنسان كالملائكة ، وما وراء هذه الحياة من حياة أخـــرى تكملة لهذه الحيـــاة ، ليتحقق العدل ويكون الجزاء "[1] . ... إلى غير ذلك من وجوه الحق التي جاء الوحي بتفاصيلها وبـــيانها. بهـــذا الرصيد العظيم من المعرفة يسمو المؤمن ويزداد يقيناً وثباتاً واتـــزاناً في حـــركته، ورشـــداً في سعيه، وينجو من القلق والاضطراب، والتفـــرق في الضلال، والتيه في مسالك الفكر المنحرف المعرض من هداية الوحي وتعاليمه .

- بإقرار المؤمن بوحدانية الله تعالى ، واستحقاقه العبادة دون من سواه ، يعلو عـــن أســـباب الذل والهوان فلا يرى ساجداً وخاضعاً لمخلوق أو عابداً ومـــتذللا لأحد من البشر . بل ولا سامعاً مطيعاً – طاعة مطلقة – إلا لله ورسوله .

- أن من مقتضيات الإيمان التحاكم إلى شرع الله ، والطاعة والتسليم له ، وقد نفى الله الإيمان عمن تحاكم إلى غير شرعه ، قال تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ

(١)عبد الرحمن الزنيدي – مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي ص١٥٢.

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [1]. وفي التحاكم إلى شرع الله تعالى – العليم الحكيم- عزة ورفعة، وسلامة من الخضوع والذلة للمخلوقين من واضعي القوانين الوضعية والأنظمة البشرية والحاكمين بها.

- أن المــؤمن يسعى في تنفيذ أوامر الله تعالى في نفسه، وعلى غيره، وفق ما كلف به، لا يخاف في الله لومة لائم ليقينه أن الخلق لا يملكون لأنفسهم - فضلاً عن غيرهم - نفعاً ولاضراً إلا ما شاء الله .

- ومنها أن المؤمن يتميز بصبره ، وتوكله على الله واعتماده عليه، واحتسابه لثوابه ورجائه لموعوده ، وهي أمور يزاد بها شجاعة وقوة وصلابة ، كما قال تعالى:﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [2]. كما يحصل له من معونة الله ومعيته ، ومدافعته عنه ما يثبت قلبه ويبدد مخاوفه، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [3]، وقال تعالى:﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [4].

- أن المؤمن يوقن أن الأرزاق بيد الله تعالى ، وأنه مدرك حظه منها لا محالة ، فعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أيها

---

(١)النساء: ٦٥.

(٢)النساء: ١٠٤.

(٣)الحج : ٣٨.

(٤)الأنعام: ٤٨.

الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب ، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطـأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، خذوا ما حلّ ، ودعوا ما حرم " [1].ولذا فهو في سعيه في مصالح دنياه متوكل على الله مستعين به، واقـف عـند حدوده ، راضٍ بما قسمه له، غير منقاد في تحصيل المال مع أهوائه وشهواته ، بعيد عن التطلع لما في يد غيره فضلاً عن سؤالهم ، ولذا فهو عزيز في نفسه، كريم على غيره .

- شعور المؤمن بأنه يسير في ركب المصطفين من عباد الله ، ممن اختارهم الله لتبليغ رسالاته وشرائعه للناس ، واللذين هم خلاصة البشرية وأزكاها ، والمؤيدون من الله تعالى بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة، والمنصورون في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [2]، وقال تعالى:﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ [3]، فهو سائر في طريقهم ومترسم خطاهم، ومتطلع إلى حظه مما تحقق لهم- ووعد به من سار على دربهم — من العز والنصر والتمكين.

وبعد هذا كله فإنه باستقامته على شرع الله يتفيأ ظلال منهج قويم يغرس في أتباعه العزة ، ويهيئ لهم أسبابها عند ضعفهم ، ومع تقلب الأحوال بهم .

---

(١)أخرجه ابن ماجه ، في التجارات ، باب الاقتصاد في المعيشة ،(٢١٤٤)وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/٦.

(٢)المجادلة: ٢١.

(٣)غافر : ٥١.

فقـــد غرس الشرع العزة في المرأة المسلمة يوم كرمها وأعلى مكانتها ؛ بنتاً وزوجة وأماً وعضواً في الأسرة والمجتمع ، وفرض لها حقوقاً توجب رفعتها ، وتصونها أن تذل أو تمتهن .

فأوجـــب حســـن تأديبها ، وتعليمها والإنفاق عليها- بنتاً- حتى تتزوج ، وشرع ألا تزوج إلا بإذنها ، وإن كانت بكراً تستحي فإذنها صمتها .

وأوجب صيانتها ، والإنفاق عليها ، ومعاشرتها بالمعروف – زوجة- قال تعالى:﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [(١)].

وألزم ببرها-أماً- وجعل عقوقها من أكبر الكبائر ، قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ . [(٢)]، وقال صلى الله عليه وسلم :" ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا بلى يا رسول الله . قال:الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت " [(٣)].

كما صان الشرع المسلم من الذل في حال ضعفه وعجزه وقلة ذات يده فجعل له حقاً معلوماً في مال الغني، يدفع إليه بلا أذى أو منة .قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِـ

---

(١)النساء ١٩.

(٢)النساء: ٢٦.

(٣)مـــتفق علـــيه ، البخاري في الأدب ، باب عقوق الوالدين .ومسلم في الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها .

ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] .

كما وقى الشرع المسلم ذلة الدين بما جعل له من حق في الزكاة عند العجز عن الوفاء – كما في الآية المتقدمة – ورغب في إنظاره إلى حال يسره إن كان معسراً ، قال تعالى:﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [2] .

كما غرس الشرع العزة في المسلم يوم أعطاه الحق في الدفاع عن نفسه، وأن يستميت دون أهله وماله ، فلا يكون مستباحاً لكل طامع ، أو غرضاً لكل عابث ، جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال: " فلا تعطه من مالك " . قال:أرأيت إن قاتلني قال : " قاتله " قال: أرأيت إن قتلني ؟ قال: " فأنت شهيد " . قال: أرأيت إن قتلته ؟ قال:"هو في النار" [3].

إلى غير ذلك من صور الرفعة والتكريم التي جاء بها الشرع لمن آمن به واستقام عليه .

---

(١)التوبة ٦٠.

(٢)البقرة ٢٨٠ .

(٣)أخرجه مسلم في الإيمان –باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه ... .

المبحث الثاني : وسـائل العـزة :

المطلب الأول : وسائل العزة للأفراد :

أولاً : العلم بالحق والتزامه والثبات عليه :

إن العلم بالحق أساس في صحة الاعتقاد ، وسلامة الفكر ، ونفاذ البصيرة ، وسكينة النفس ، وعزها ورفعتها. والمرء متى علم الحق وعمل به زكت نفسه ، وصلح باطنه ، واستقامت جوارحه ، وارتفع قدره ، قال تعالى:﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [1] .

قال ابن القيم :"العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة ما لا يرفعه الملك ولا المال ولا غيرهما، فالعلم يزيد الشريف شرفاً ويرفع العبد المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك" [2] .

والمجتمع متى علم الحق والتزم به تحققت مصالحه ، واستقامت أحواله، وقام العدل بين أفراده، وصار معهم من النور والهدى ما يبصرهم بطريقهم، ومن القواعد والأصول ما يسترشدون به في المستجد من قضايا عصرهم ومسائل حياهم .

والأصل في معرفة الحق الكتاب والسنة ، قال تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [3] وقال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ

---

(١)المجادلة/ ١١.

(٢)مفتاح دار السعادة ١/١٦٤.

(٣)يونس/ ١٠٨.

أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [1]. قال شيخ الإسلام:"الأصل في معرفة الحق الكتاب والسنة ، فلا بد أن نؤمن بالكتاب ونتبع ما أنزل إلينا من ربنا جميعه ولا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ، وتلين قلوبنا لاتباع بعض السنة وتنفرعن قبول بعضها — بحسب العادات والأهواء — فإن هذا خروج عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم والضالين" [2] .

والله هو الحق في ذاته ، وفي أسمائه وصفاته وأفعاله ، وهو الإله الحق المستحق وحده أن يعبد ويوحد ، ووعده سبحانه حق فلا مفر من لقائه وحسابه ، والرسل جميعاً — عليهم الصلاة والسلام — دعاة إلى الحق الذي بعثوا به وأرسلوا من أجله .

وهذا الدين هو الدين الحق بعقائده ، وأحكامه وتشريعاته ، وأخلاقه وآدابه وهو الكفيل وحده بإصلاح أحوال الخلق ، ورعاية مصالحهم، وتحقيق العزة والرفعة لهم.

والأمة تقوى وتعتز حين تقبل على الحق وتعمل به، وتضعف وتذل حين تشغل عنه وتتنكر له .

والعالم بالحق المصدق به يميز بين الأمور فلا تلتبس عليه ، ولا تستفزه الشبهات أو تقدح فيه مهما بهرجت وزخرف لها القول، ولا تستخفه الأهواء أو يؤثر فيه الغوغاء، وأما المكذب بالحق والمعرض عنه فمحروم من الهداية ،

---

(١)الفتح / ٢٨.

(٢)رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص/٣١ .

محجوب عن التوفيق ، بل هو في حيرة واضطراب ، فلا ثبات في قول ، ولا رشد في سعي ، ولا طمأنينة في حياة ، قال تعالى:﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾[1] .

والعلـــم بالحق والثبات عليه عزة ورفعة وإن كثر الضلال وقوى الباطل بل وإن أوذي أهـــل الحق وفتن الداعون إليه ، قيل للإمام أحمد أيام المحنة[2]: يا أبا عبد الله ، أولا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل ؟ قال كلا ، إن ظهور الباطل علـــى الحـــق أن تنتقل القلوب من الهـــدى إلى الضـــلالة ، وقلوبنا بعد لازمة للحق[3] .

والعمل بالحق والتزامه عزة وعلو ورفعة ، ومن التزام الحق الاستقامة على الطاعات وترك المعاصي، قال تعالى:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[4] .

أي: مـــن كـــان يطلب العزة فليطلبها بطاعة الله ، بالكلام الطيب والعمل الصالح [5]قال ابن كثير:" أي:من كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة فليلـــزم طاعـــة الله تعالى، فإنه يحصل له مقصوده ،لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة ، وله العزة جميعاً" [6] .

---

(١)ق : ٥.

(٢)محـــنة القـــول بخلق القران، وكانت في خلافة المأمون والمعتصم. انظر : ابن جرير الطبري – تاريخ الأمم الملوك ١٩٤/٥ ، وما بعدها .

(٣)الذهبي – سير أعلام النبلاء ٢٣٨/١١.

(٤)فاطر: ١٠.

(٥)ابن القيم- إغاثة اللهفان ٤٨/١.

(٦)تفسير القرآن العظيم ٥٤٩/٣.

والعلم بالحق والعمل به عز ورفعة ؛ لأن العاقبة لأهله بالفوز العظيم في الآخرة ، وأما ما قبلها من أحوال الدنيا فأعراض لا تلبث أن تتحول أو تزول ، ومع الموت وبعده يكون الربح والخسران ، والعز التام أو الذل والهوان .

قال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۝ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [1] .

والأمـــة اليوم بأمس الحاجة إلى الاجتهاد في طلب الحق وتلمس الهداية من المنبع الذي هديت إليه وهو الوحي ، والأخذ به والعمل بمقتضاه، وإقامة الحياة وفـــق أوامـــره وتوجيهاته، واعتماده وحده فيما لا مجال للفكر فيه؛ كالمسائل الغيبـــية التي تتجاوز إمكانات البشر وقدراتهم ، وجعله المعيار الذي توزن بـــه سائر العلوم والمعارف والنظريات والأفكار، لكونه حقاً مطلقاً مستمداً من علم الله تعـــالى، ثم بالاستفادة من سائر العلوم النافعة، والتقنية الحديثة التي يمكن أن تسهم في الارتقاء بحياة الناس المادية والاجتماعية.

ثانياً: الصبر :

ومن أسباب العزة الصبر وهو:" حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عمـــا يقتضيان حبسها عنه "[2]. ويمكن أن يقال في تعريفه: إنه قوة نفسية تعين على ضبط النفس حتى تظفر بمطلوبها . والمحمود منه ما أعان على اكتساب الفضائل وترك الرذائل .

---

(١)الشورى/ ٤٤ -٤٥.

(٢)الراغب : المفردات في غريب القرآن ص ٢٧٣.

والصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، فلا إيمان لمن لا صبر له.

وهو من مقام الأنبياء والمرسلين ، وحلية الأصفياء المتقين .

قال الله تعالى عن عباد الرحمن :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾ [1]. وقال عن أهل الجنة: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [2]. وأخبر عز وجل عن ثواب الصابرين بأنه لا حد له ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [3].

والمرء يتقلب بين سراء وضراء ، وواجبه في السراء أن يشكر، وفي الضراء أن يصبر ، ومتى حقق مقام الصبر ، ومقام الشكر كمل إيمانه ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له" [4].

والصبر ضرورة للحياة الجادة النامية، فالعمل والسعي في الأرض طلباً للرزق يحتاج إلى صبر ، ومعاملة الناس ومخالطتهم تحتاج إلى صبر ، ومقارعة شدائد الحياة وغصصها يحتاج إلى صبر، والظفر بالمطالب العالية يحتاج إلى صبر .

---

(١)الفرقان/ ٧٥.

(٢)الرعد/ ٢٣-٢٤.

(٣)الزمر/ ١٠.

(٤)أخرجه مسلم ، في الزهد والرقائق – باب المؤمن كله خير .

والصبر سبيل العزة والرفعة ؛ لأن به يكمل المرء مقامات الإيمان - الذي هو أساس العزة ومنبعها - فيصبر على فعل الطاعات ، وعن المحرمات ، وعلى أقدار الله تعالى.

وبالصبر يظفر بمعية الله تعالى ونصره وتأييده كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١)، قال أبو علي الدقاق :" فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا مـــن الله معيته " (٢). وأخبر الله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام أن صبره وتقواه وصلاه إلى محل العز والتمكن فقال:﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

وقد بين صلى الله عليه وسلم أن الصبر سبيل النصر وطريق العزة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"واعلم أن النصر مـــع الصبر" (٤). وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله علـــيه وسلم يقول :"ثلاثة أقسم عليهن فاحفظوهن ، قال:" ما نقص مال عبد مـــن صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح باب مسالة إلا فتح الله عليه باب فقر" (٥).

---

(١)الأنفال/ ٤٦.

(٢)ابن القيم-عدة الصابرين ص ٥٧.

(٣)يوسف/ ٩٠.

(٤)أخرجه أحمد ٣٠٧/١.

(٥)أخرجه أحمد ٢٣١/٤. والترمذي في الزهد ، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر. وقال : حديث حسن صحيح ، وانظر :الألباني صحيح الجامع الصغير ٥٢٨٧.

ولقد صبر رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم على أذى أقوامهم وجهلهم وتعنتهم ، فلم يهنوا ، ولم يضعفوا ، ولم يقصروا فيما أمرهم الله به من الدعوة والتبليغ حتى نصرهم الله تعالى وجعل العزة والرفعة لهم في الدنيا ما أعد الله لهم من الأجر العظيم في الآخرة . قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [١].

ثالثاً : العفة والاستغناء عما في أيدي الناس :

العفة في اللغة: الكف عما لا يحل ولا يجمل من قول أوفعل[٢]، وأما في نصوص الشرع : فهي الكف من المحارم والمآثم [٣]، وعن سؤال الناس والتطلع لما في أيديهم. قال تعالى:﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [٤]، وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [٥].

أما العفة من المحارم ؛ فحقيقتها صيانة النفس عن الاسترسال مع الشهوات، وحفظ الجوارح من الخوض في الرذائل ، والاستغناء بما أحل الله عز وجل عما

---

(١)الأنعام/ ٣٤.

(٢)ابن فارس- معجم مقاييس اللغة ٣/٤. المعجم الوسيط ص ٦١١.

(٣)الماوردي – أدب الدنيا والدين ص ٣٠٩.

(٤)النور/٣٣.

(٥)البقرة/٢٧٣.

حـــرم. وهي من أسباب العزة لأنها استجابة لأمر الله ، والتزام بطاعته، وابتعاد عن نواهيه، وصيانة لإيمان المرء وزيادة له ، وهذا هو أساس العزة ومنبعها .

وأمـــا العفة عما في أيدي الناس والاستغناء عنهم، فذاك غنى النفس وشرفها وعزها. وقد قال صلى الله عليه وسلم:"من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، من يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر" (١) .

وقـــال عليه الصلاة والسلام:"ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس" (٢).

قال القرطبي- رحمه الله – مبيناً أثر الاستغناء عـــن الناس فـــي تحصيل العـــزة:"معنى الحديث:أن الغنى النافع، أو العظيم، أو الممدوح هو غنى النفس؛ وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزت، وعظمت وحصل لها من الحظـــوة والنزاهـــة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير الـــنفس لحرصه، فإنه يورطه في رذائل الأمور، وخسائس الأفعال، لدناءة همته وبخلـــه، ويكثـــر من يذمه من الناس ، ويصغر قدره عندهم فيكون أحقر من الحقير، وأذل من كل ذليل" (٣).

وقد جاءت الشريعة بالحث على العمل والسعي في الأرض طلباً للرزق وإعفافاً للنفس، قال تعالى:﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ**

---

(١)مـــتفق عليه، البخاري في الزكاة، باب الاستغناء من المسألة .ومسلم في الزكاة ، باب فضل التعفف والصبر .

(٢)مـــتفق عليه، البخاري في الرقاق ، باب الغنى غنى النفس . ومسلم في الزكاة ، باب ليس الغنى عن كثرة العرض.

(٣)فتح الباري ١١/٢٧٢.

مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [1].وقال تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [2]. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتغل بالتجارة قبل بعثته فقد خرج إلى الشام بتجارة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها [3]. كما رعى الغنم على قراريط لأهل مكة [4].

كما حرص الصحابة رضي الله عنهم على العمل والاكتساب ، فعامة المهاجرين كانوا تجاراً ، كما كان الأنصار يشتغلون بالزراعة والحرث ، قال الإمام أحمد:" كان أصحاب رسول الله يتجرون في البر والبحر ، ويعملون في نخلهم، والقدوة بهم " [5].

ونهى صلى الله عليه وسلم عن المسألة إلا للضرورة صيانة للمسلم من مواقف الذلة فقال:" إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة ، فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك. ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، أو قال : سداداً من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى من قومه : لقد أصابت فلاناً فاقة ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، أو قال : سداداً من

---

(١)الجمعة / ١٠.

(٢)البقرة/ ١٩٨.

(٣)انظر: ابن الحجر – فتح الباري ٧/١٣٤.

(٤)أخرجه البخاري ،كتاب الإجارة ،باب رعي الغنم على قراريط . والقراريط جمع قيراط وهو الجزء من الدينار، انظر: فتح الباري ٤/٤٤١.

(٥)ابن مفلح – الآداب الشرعية ٣/٢٩٠-٢٩١.

عـــيش ، فما سواهن من المسألة ياقبيصة سحت ، يأكلها صاحبها سحتاً "[١].

وقـــال صـــلى الله علـــيه وسلم : "والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه"[٢].

قـــال الحافظ ابن حجر:" فيه الحض على التعفف عن المسألة والتتره عنها ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق ، وارتكب المشقة في ذلك ، ولولا قبح المسألة في نظـــر الشـــرع لم يفضل ذلك عليها، وذلك لما يدخل على السائل في ذل السؤال ، ومن ذل الرد إذا لم يعط "[٣].

والحاصل أن المرء متى اجتهد في تحصيل المال لينفق على نفسه ، ومن تلزمه نفقته ، وليقضي مصالحه ، واستغنى بما آتاه الله ، وقنع به ورضي ، وصان نفسه مـــن سؤال غيره، أو الطمع في صلته عاش في عز ومهابة ورفعه، وتهيأ له - إن كان ذا علم وفضل – أن ينطق بالحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

رابعاً : العفو والتواضع :

مـــن أســـباب العز في الدنيا و الرفعة في الدنيا والآخرة : العفو عن الناس ، والصفح عنهم ، والتواضع لهم لمن كان ذا مترلة ومكانة فيهم ، فعن أبي هريرة رضـــي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" ما نقصت صدقة من مـــال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، ومـــا تواضع أحد لله إلا رفعه الله "[٤]. فبين صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى لا يزيد العبد بالعفو إلا عزاً.

---

(١)أخـــرجه مسلم في الزكاة ، باب من تحل له المسألة.وأبو داود في الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة. والنسائي في الزكاة ، الصدقة لمن تحمل بحالة.

(٢)مـــتفق علـــيه ، البخاري في الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة . ومسلم في الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس .

(٣)فتح الباري ٣٣٦/٣. وانظر الماوردي أدب الدنيا والدين ص٣١٦.

(٤)أخرجه مسلم ، في كتاب البر والصلة والآداب _ باب استحباب العفو والتواضع.

وحقيقة العفو : احتمال الأذى ، وترك الانتصار للنفس ومقابلة السيئة بمثلها مع القدرة على الانتقام ، والتمكن من الاستيفاء . كما قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١)، فمدح الله تعالى المؤمنين بأن" فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ، ليسو بالعاجزين ولا الأذلين بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفو" (٢).

والمراد بالانتصار المحمود الذي يستحق صاحبه المدح والثناء، الانتصار لحق الله تعالى لا للنفس وحظوظها (٣)، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت:"ما ضرب رسول الله صلى عليه وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ، ولا خادماً ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه ؛ إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى ، فينتقم لله عز وجل" (٤).

والمسلم في صلته بغيره يجمع بين العفو والانتصار ، ويضع كلا منهما في موضعه اللائق به؛ فيعفو ويصفح ما لم يترتب على ذلك تماد في الظلم واستهانة بحقوق الآخرين وحرماتهم (٥). قال القرطبي:" وبالجملة العفو مندوب إليه ، ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوباً إليه .. وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي، وقطع مادة الأذى ، وعن النبي صلى الله عليه

---

(١)الشورى : ٣٩ -٤٠.

(٢)ابن كثير- تفسير القرآن العظيم ٤/١١٨.

(٣)انظر :ابن تيميه - السياسة الشرعيةص٥٣.وابن القيم _الروح ص٢٤٢.

(٤)أخرجه مسلم ، في الفضائل - باب مباعدته صلى الله عليه وسلم الآثام ، واختياره في المباح أسهله.

(٥)انظر :الشوكاني - فتح القدير ٤/٥٤١ .

وسلم ما يدل عليه ، وهوأن زينب أسمعت عائشة رضي الله عنها بحضرته فكان ينهاها فلا تنتهي ، فقال لعائشة:(دونك فانتصري)[1] ، أخرجه مسلم في صحيحه بمعناه "[2].

والعفو سبب للعزة لأنه تجاوز وتسامح مع القدرة على المعاقبة والانتقام -كما تقدم- ولذا فهو يسمو بالإنسان ، ويعلي قدره عند الله وعند الناس ؛ حيث يعطف القلوب على محبة أهله وإجلالهم ، ويبعث على النظر إليهم بعين التبجيل والإكرام ، مع ما أعد الله لهم من الأجر العظيم والثواب الجزيل ، قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3] .

ومن صور العفو العظيمة ؛ عفو النبي - صلى الله عليه وسلم-عن أهل مكة وهم الذين كذبوه وآذوه ، وهموا بقتله ، أخرجوه من بلده ، وقاتلوه في مواطن كثيرة ، فبعد أن أكرمه الله تعالى بفتح مكة ، والظفر بهم ، والتمكن منهم عفا

---

(١)رواه أحمد.وابن ماجه في سننه٦٣٧/١.وانظر الألباني - سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٧٦/٤ ، وأخرجه مسلم بمعناه ولفظه عنده: " استأذنت زينب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مع عائشة فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت: يا رسول الله ، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة .قالت-عائشة- ثم وقعت بي فاستطالت علي وأنا أرقب رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يأذن لي فيها ، قالت فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكره أن انتصر، قالت : فلما وقعت بها لم أنشبها حتى انحنيت عليها ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتسم : إنها ابنة أبي بكر" أخرجه مسلم .

(٢)القرطبي- الجامع لأحكام القرآن ٤٤/١٦.

(٣)آل عمرآن : ١٣٣-١٣٤.

عنهم، حيث قال لهم : يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا :خيراً، أخ كريم ،وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء [(١)].

كمــا عفا صلى الله عليه وسلم عن جماعة منهم حاولوا النيل منه على حين غفلة منه ، فعن أنس رضي الله عنه أن ثمانين رجلاً مــن أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مــن جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم ، وخلى سبيلهم [(٢)]، إلى غــير ذلــك من عفوه صلى الله عليه وسلم الذي رفع الله تعالى به قدره ، وألقــى في القلــوب محبته وإجلاله، ونصره على أعدائه ، مع ما ادخر له من الثواب العظيم عنده .

وأما التواضع فهو انكسار القلب لله ، وخفض جناح الــذل والرحمة بعبادة وقــد جــاء الأمر به في حديث عياض بن حمار رضي الله عنــه قال : قال رســول الله صلى الله عليــه وسلم :" إن الله أوحى إلي أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد " [(٣)].

---

(١) ابــن هشام- السيرة النبوية ٤١٢/٤ .والخبر قال عنه الألباني:ضعيف. انظر : الغزالي – فقه السيرة ص٣٨٢. ولكــن وصف الطلقاء ثابت في صحيح مسلم. انظر: النووي - شرح صحيح مسلم ٣/ ١٠١،مما يشهد لصحة معناه .

(٢)أخــرجه مسلم وأحمد ، مسلم في الجهاد والسير ، باب نزول قوله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عــنكم ...) الفــتح الرباني ٢٧٨/١٨. وقوله في الحديث((سلماً)) قال النووي: ضبطوه بوجهين ، أحــدهما بفتح السين واللام ، ومعناه :أسرهم ، والسلم :الأسر ، وجزم به الخطابي وقال :المراد به الاســتلام الإذعان كقوله تعالى:(وألقوا إليكم السلم).،النساء/٩٠.والثاني: بإسكان اللام مع كسر السين وفتحها ، ومعناه الصلح . انظر :النووي- شرح صحيح مسلم ٤٦٨/٤-٤٦٩.

(٣)أخــرجه مســلم ، في الجنة وصفة نعيمها وأهلها –باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

وهذا التواضع تذلل محمود لأنه تذلل متبادل بين المؤمنين ، باعثه المودة والرحمـــــة ، ورجاء ثواب الله في الآخرة، لا لغرض دنيوي أو منفعة عاجلة وقد قال الله تعالى مثنياً على من تمثل بهذا الخلق:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [(١)].

وإنمــا كــان التواضع سبباً للرفعة لأنه يحمل صاحبه على قبول الحق ، وتعظــيمه والانقــياد له ، كما يحمله على الرحمة بالخلق ، والإحسان إليهم ، وخفــض الجناح لهم ، ومن كان بهذه المثابة رفع الله قدره في القلوب، وطيب ذكره على الألسنة،وأعلى منزلته في الدنيا والآخرة.

خامساً :الإقامة في دار الإسلام :

من أسباب العزة أن يعيش المسلم في كنف الدولة المسلمة بين إخوانه المؤمنين مظهراً لدينه ، مستعلياً بإيمانه ، مقيماً لشعائر إسلامه .

كمـــا يجد المسلم بين إخوانه طمأنينة القلب ، وراحة النفس ، ولاسيما مع ســيادة القــيم الإسلامية ، وقوة الروح الإيمانية حيث يعم الصدق والوفاء ، والاحترام والتقدير، والإعانة على الخير، والمواساة عند النوائب ، والوقوف إلى جانبه في الشدائد والضوائق . فلا يذل لضائقة ، أو يهان ويحتقر لحاجة قائمة أو عارضة ، بل يجد من إخوانه – بعد الصبر والاحتساب– من صدق المواساة وجميل المشاعر ما يخفف عنه آلامه ويسلي عنه أحزانه ،ويسد حاجته .

---

(١)المائدة/ ٥٤.

عــن النعمان بن بشير – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلـــم: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منــــه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " [١]، وعن أبي موســى– رضي الله عنه – قـــال :قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المــؤمن للمــؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " [٢]، وشبك بين أصابعه ، قال القرطبي:" قوله صلى الله عليه وسلم: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً؛ تمثيل يفيد الحض على معونة المؤمن للمؤمن ونصرته ، وأن ذلك أمر متأكد لابد مـــنه ، فإن البناء لا يتم أمره ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضاً ويقـــويه .فإن لم يكن كذلك انحلت أجزاؤه وخرب بناؤه ، وكذلك المؤمن لا يســـتقل بأمور دنياه ودينه إلا بمعونة أخيه ومعاضدته ومناصرته ، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه، وعن مقاومة مضاده ، فحينئذ لا يتم له نظام دنيا ولا دين، ويلحق بالهالكين "[٣] .

ولذا شرعت الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام بل هي واجبة إذا كان المسلم غير قادر على إظهار دينه واستطاع الهجرة ، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى**

(١)متفق عليه ، البخاري في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ومسلم في البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم .

(٢)مـــتفق علـــيه ، الـــبخاري في الأدب ، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا ، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم .

(٣)المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥٦٥/٦ ...

ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [1].

قـــال ابن كثير:" هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين ، فهو ظالم لنفسه مرتكب حـــراماً بالإجمـــاع، وبنص هذه الآية "[2] ،وهي مستحبة إذا كان قادراً عليها ومتمكناً من إظهار دينه [3].

ولقد لقي السابقون الأولون من ألوان التعذيب وصنوف الإيذاء شيئاً عظيماً يـــوم كانوا بين ظهراني المشركين فـــي مكة ، فلما هاجروا إلى الحبشة وجدوا عند النجاشي الإكرام والحرية والأمان ، حتى إن الصحابي عبد الله بن الحارث ابن قيس – أحد المهاجرين – بعث برسالة إلى أهل مكة جاء فيها :

يا راكـــبا بلغن عنـــــي مغلغلة	من كان يرجو بلاغ الله والـــدين
كل امـــرئ من عباد الله مضطهد	ببطن مكـــة مقهور ومفتـــون
أنا وجدنا بلاد الله واسعـــــة	تنجي من الذل والمخـــزاة والهـــون
فلا تقيموا على ذل الحـــياة وخز	ي في الممات وعيب غير مأمون [4]

ولما هاجروا إلى المدينة "صار للمؤمنين عز وأنصار"[5]. فأظهروا دينهم كما أقاموا مصالح دنياهم ، وسلموا من أذى عدوهم وتسلطه عليهم .

---

(١)النساء/ ٩٧.

(٢)تفسير القرآن العظيم ٥٤٢/١. وانظر :ابن قدامه :المغني ٥١٣/١٠.

(٣)ابن تيمية :مجموع الفتاوى ٢٤٠/٢٨.

(٤)ابن هشام : السيرة النبوية ٣٣٠-٣٣١. والمغلغلة : الرسالة ترسل من بلد إلى بلد .

(٥)ابن تيمية – مجموع الفتاوى ٢٦٣/٧، ٣٩/١١.

المطلب الثاني : وسائل العزة للمجتمع:

أولا: الاجتماع على الحق وترك الفرقة والاختلاف :

إن من قواعد الدين العظيمة محبة المسلم لإخوانه المسلمين ، وموالاته لهم كما قال تعالى:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [(٢)]، فالمؤمنون أخوة في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وامتدت أزمانهم ، وقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(٣)].

وإن من أسباب عزة المسلمين شعورهم بهذه الأخوة الإيمانية ، وقيامهم بمقتضياتها ؛ ومن ذلك اجتماعهم على الحق ، وتعاونهم على البر ، ومناصرة بعضهم بعضاً ،قال تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [(٤)].

وقال سبحانه:﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ [(٥)].

---

(١)المائدة : ٥٥.

(٢)الحجرات : ١٠.

(٣)الحشر : ١٠.

(٤)المائدة: ٢ .

(٥)الأنفال : ٧٢.

وقد أمر الله تعالى بالجماعة والاجتماع ، ونهى عن التفرق والتنازع ،لأنه سبب للفشل والهزيمة والذلة ، قال تعالى:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [2].

قال شيخ الإسلام :" وهذا الأصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً ، وأن لا يتفــرق ،هــو من أعظم أصول الإسلام ، ومما عظمت وصية الله به في كــتابه ، وممـــا عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم . ومما عظمت به وصـــية النبي صلى الله عليه وسلم، في مواطن عامة وخاصة، مثل قوله:"عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة " [3].

وقــوله:" من جاءكم وأمركم على رجل واحد منكم يريد أن يفرق جماعتكم، فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من كان" [4] [5].

وأعظــم صور الاجتماع العاصمة من الزلل والفرقة والاختلاف ، والموجبة للألفة والقوة والعزة صورتان :

الأولى : الاجـــتماع على الكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة من الصـــحابة ، والـــتابعين، والأئمة المجتهدين ، والحق أنه لا سبيل إلى الاجتماع

---

(١)آل عمران: ١٠٣.

(٢)الأنفال: ٤٦.

(٣)أخـــرجه أحمد في المسند١٨/١،والحاكم ١١٤/١ وصححه ووافقه الذهبي. كلاهما بألفاظ مقاربة، وللبخاري نحوه ، في الفتن ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم((سترون بعدي أموراً تنكرونها)).

(٤)أخرجه مسلم بنحوه في الإمارة – باب من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع .

(٥)الفتاوى ٣٥٩/٢٢ . مختصراً .

والائتلاف إلا بذلك ، فالناس لا يفصل بينهم التزاع إلا أن يتحاكموا إلى ميزان ثابت ومعصوم وهو نصوص الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة ، قال شيخ الإسلام:" فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة ، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة ، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول . وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته ، ويوالي ويعـــادي علـــيها، غير النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي علــيــــه، يعادي، غير كلام الله ورسوله وما أجمعت عليه الأمة، بل هذا من فعـــل أهـــل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاما يفرقون به بين الأمة ، ويوالـــون بـــه على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون، والخوارج إنما تأولوا آيـــات من القرآن على ما اعتقدوه ، وجعلوا من خالف ذلك كافراً لاعتقادهم أنه خالف القرآن ، فمن ابتدع أقوالاً ليس لها أصل في القرآن وجعل من خالفها كافراً كان قوله شراً من قول الخوارج " [١].

الثانـــية : الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة ، وطاعته ، وترك الخـــروج علـــيه ، ولزوم ذلك وإن كان عنده شيء من الجور والظلم ، لأن الخـــروج علـــيه يـــؤدي إلى الفتنة، وانتهاك الحرمات ، والشقاق والفرقة ، وتعطيل المصالح وجلب المفاسد على الأمة في دينها ودنياها .

ومما جاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم -مع ما تقدم- قوله صلى الله عليه وسلم في حدث أبي هريرة:"عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ، ومنشـــطك ومكرهك ، وأثرة عليك" [٢]. وعن أم سلمة رضي الله عنها، أن

---

(١) الفتاوى ١٦٤/٢٠.

(٢)أخرجه مسلم في الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، وتحريمها في المعصية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ما صلوا " [١].

قال النووي "فيه..أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم والفسق ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الإسلام " [٢]. وقال شيخ الإسلام: " وهذا يبين أن الأئمة هم الأمراء وولاة الأمور، وأنه يكره وينكر ما يأتونه من معصية الله ، ولا تنزع اليد من طاعتهم بل يطاعون في طاعة الله ، وأن منهم خياراً وشراراً " [٣].

والحاصل أن الأمة بقدر ما يحصل لها من اتفاق الكلمة ، ووحدة الصف ، وتآلف القلوب ، مع التمسك بالحق والاستقامة عليه ، يحصل لها العز والتمكن في الأرض .

ثانياً: القيادة الراشدة :

إن من أسباب العزة الرئيسة للأمة، صلاح ولي الأمر، وقيامه بواجبه في إصلاح رعيته، والنهوض بها، وصيانتها من أسباب القلق والاضطراب . وذلك لما خوله الله من سلطة وقوة ، وبما ألزم رعيته من السمع والطاعة له.

قال شيخ الإسلام:" ومعلوم أنه إذا استقام ولاة الأمر الذين يحكمون في النفوس والأموال استقام عامة الناس ، كما قال أبو بكر الصديق فيما رواه البخاري في صحيحه [٤]، للمرأة الأحمسية لما سألته فقالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح؟

---

(١)أخرجه مسلم في الإمارة ، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع.

(٢)شرح صحيح مسلم ٤/٥٢٠ .

(٣)منهاج السنة ١/١١٧ .

(٤)صحيح البخاري في مناقب الأنصار-باب أيام الجاهلية .قال الحافظ : قوله:(ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح) أي دين الإسلام وما اشتمل عليه من العدل ، واجتماع الكلمة،ونصرة المظلوم ، ووضع كل شيء في محله. فتح الباري ٧/١٥١.

قـــال :ما استقامت لكم أئمتكم، وفي الأثر :صنفان إذا صلحوا صلح الناس : العلماء والأمراء " [1].

ولمـــا قدم الليث بن سعد رحمه الله مـــن مصر على الخليفة هارون الرشيد ، قـــــال له الرشيد: يا ليث ما صلاح بلدكم؟ قال: يا أمير المؤمنين ، صلاح بلـــدنا إجـــراء النيل ، وصلاح أميرها ، ومن رأس العين يأتي الكدر، فإذا صفا رأس العين صفت السواقي . قال: صدقت يا أبا الحارث [2].

وقـــد بين العلماء واجبات ولي الأمر المناطة به، والتي تكفل بناء دولة قوية متماسكة ، منهم الماوردي حيث قال:

والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء :

أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة ، فإن نجـــم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحجة وبين له الصواب وأخذه بما يلـــزم من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من خلل والأمـــة ممنوعة من زلل .

الثاني :تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة ، فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم .

الثالث: حماية البيضة والذب عن الحريم ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال .

الـــرابع : إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من إتلاف أو استهلاك .

---

(١)مجموع الفتاوى ٣٥٤/١٠..

(٢)أبو نعيم- الحلية ٣٢٢/٧،ابن خلكان- وفيات الأعيان ١٣٢/٤ .

الخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرماً أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دماً .

السادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله .

السـابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير خوف ولا عسف .

الثامن: تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال غير سرف ولا تقتير، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير .

التاسـع: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال ، لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة .

العاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال ، لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة " [1].

والحـق أنه متى قام ولي الأمر بهذه الواجبات ونحوها انتظمت أمور البلاد، واستقامت أحوال العباد ، فحفظوا دينهم ، وصلحت أمور دنياهم ،وعاشوا في كنف دولة قوية عزيزة ، مرهوبة الجانب ، مسموعة الكلمة .

ولعل من الأمثلة الجلية لأثر للقيادة الراشدة ما جرى على يد الخليفة الراشد عمـر بـن عـبد العزيز- رحمه الله - فإنه " لما ولي كان قد تغرب كثير من الإسلام على كثير من الناس ، حتى كان منهم من لا يعرف تحريم الخمر، فأظهر الله به في الإسلام مـا كان غريباً " [2] وأعز به الدين وأهله .

---

(١)الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص ١٥-١٦.

(٢)ابن تيمية – مجموع الفتاوى ٢٩٧/١٨.

ثالثاً: حراسة الفضائل ومحاربة الرذائل :

إذا كانت العزة ثمرة الإيمان والعمل الصالح ، فإن مخالفة أمر الله - عز وجل - وفعل ما نهى عنه ينقص الإيمان ويضعفه ، وبالتالي يعوق المسلم عن الوصول إلى ما يراد له من العلو والعزة .

بل لا سبيل إلى العزة ألبته متى كان المجتمع معرضاً عن دين الله ، رافضاً لشرعه ، معطلاً لأمره ونهيه ، لا يقلقه منكر، ولا يزعجه فساد أو انحراف . بل إن شيوع المنكرات والرذائل يفقد الأمة حيويتها، وعناصر قوتها ، ويورثها الذلة والصغار ، ويقودها إلى الهلاك والدمار، فعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعاً يقول:" لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه "، وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها . فقلت : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث"[1].

ولما كان من طبيعة النفوس البشرية التثاقل عن التكاليف الشرعية والتفلت منها ، والانسياق مع الأهواء ، والانقياد للشهوات ، كان لزاماً لحفظ كيان المجتمع ، والإبقاء على قوته من إقامة سوق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناها الشامل والواسع ؛ أمراً بالفضيلة وترغيباً فيها وإعانة عليها ، وتيسيراً لسبلها وأسبابها . ونهياً عن الرذيلة ، وقطعاً لمواردها ، وإبرازاً لسوء عاقبتها في الدنيا والآخرة ، لينغرس في النفوس كرهها والنفرة منها والتباعد عنها .

---

(١)متفق عليه ، أخرجه البخاري في المناقب-باب علامات النبوة في الإسلام.و مسلم في الفتن وأشراط الساعة- باب اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج.

ثم بعــد هذا كله بالأخذ على يد أهل الزيغ والفساد وأطرهم على الحق ، وتأديبهم ومعاقبة كل من استوجب العقوبة منهم . قال شيخ الإسلام:" وكما أن العقوبات شرعت داعية إلى فعل الواجبات وترك المحرمات، فقد شرع أيضاً كــل مــا يعــين على ذلك، فينبغي تيسير طريق الخير والطاعة، والإعانة عليه والترغيب فيه بكل ممكن ... وكذلك الشر والمعصية ينبغي حسم مادته ، وسد ذريعته ودفع ما يفضي إليه ، إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة" [1].

رابعاً : الجهاد:

شرع الله الجهاد لإعــلاء دينه ، وتحقيق الهيمنة لشرعه ، قــال تعــالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [2]، قال ابن كثير:" ثم أمر تعالى بقتال الكفار حتى لا تكون فتنة أي شرك ، قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد ... ويكون الدين لله ، أي يكون دين الله هو الظاهر على ســائر الأديان " [3].

كما أن من مقاصد الجهاد إعزاز المسلمين ، وقهر المشركين وإذلالهم ليتهيأ للمسلمين إقامة دينهم ، والدعوة إليه، ومقاومة من يقف في وجهه ، ولينشروا الخير والعدل والمعروف بين الناس ، ويقمعوا الفساد والظلم والمنكر .

قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [4]، وقال تعالى :﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا

---

(١)السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص١٤٩.

(٢)البقرة: ١٩٣.

(٣)تفسير القرآن العظيم ١/٣٢٩.

(٤)التوبة :١٤.

يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [1].

قال ابن القيم : " والمقصود من الجهاد إنما هوأن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله ... فإن من كون الدين كله لله إذلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رؤوس أهله، والرق على رقابهم ، فهذا من دين الله، ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون ، بحيث تكون لهما الشوكة والكلمة " [2].

ومن مقاصد الجهاد أيضاً حماية المسلمين من شر الكفار ومكرهم وفتنتهم . وذلك أن الكفار لا يقفون من المسلمين موقفاً مسالماً ، ولا يتركوهم يحققون مقتضى إيمانهم ، أو يحملون ما معهم من الهدى والنور إلى غيرهم، وإنما يقفون منهم مواقف العداء ، ويصدوهم عن سبيل الله عز وجل كما قال الله تعالى:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ [3]

وقال تعالى:﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [4].

ولذا فلا سبيل إلى عز الأمة ورفعتها إلا بالجهاد ، وبذل الجهد في الاستعداد المـــادي والمعنوي، فبذلك يحققون إيمانهم، ويقيمون دينهم ودنياهم ، وينشرون دعوة ربهم في ربوع الأرض ، بل ويقودون البشرية بالحق والعدل .

---

(١)التوبة :٢٩.

(٢)أحكام أهل الذمة ١/١٨.

(٣)البقرة :٢١٧.

(٤)البقرة : ١٢٠.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من عقوبات ترك الجهاد أن يضرب الله علـــى الأمة الذل والهوان باختلافهم ، وبتسلط الكفرة عليهم ، وإفسادهم لدينهم واستغلالهم لخيراتهم وثرواتهم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن الـــنبي صـــلى الله عليه وسلم قال:" لئن تركتم الجهاد ، وأخذتم بأذناب البقر وتبايعـــتم بالعينة ، ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا إلى ما كنتم عليه" [1].

وأحوال المسلمين اليوم دالة على ذلك ، فإنهم لما قعدوا عن الجهاد ، وركنوا إلى الدنـــيا ، وشـــغلوا بالزراعة والتجارة وغيرها من الأعمال والوظائف عن الجهـــاد ، ولم يـــبالوا في أعمـــالهم ومعاملاتهم بالحلال والحرام ، ابتلاهم الله بالضعف والاستكانة ، وسلط عليهم أعداءهم بألوان الذل والإهانة .

(١)أخرجه أحمد في المسند ٤٢/٢ ، وانظر قول الحافظ في الحديث في تلخيص الحبير ١٩/٣. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم(١١).

المبحث الثالث : آثار العزة :

إن آثار العزة لاتزال تتجدد في حياة الأمة المسلمة- أفراداً وجماعات- كلما ازدادت تمسكاً بدينها واستقامة عليه ، وبذلاً في سبيله .

ولعـــل أجل صور العزة تلك التي رسمها الرعيل الأول من سلف الأمة،جيل الصحابة - رضي الله عنهم- يوم استقاموا على هذا الدين ، وصاغوا حياقم وفق منهجه ، حيث نعموا بالعزة والسيادة ، بل حصل لهم من ذلك ما لم يسبق له نظير في تاريخ الأمم .

وأول صور العزة وأكثرها إشراقاً اعتزازهم بالانتساب لهذا الدين ، ووقوفهم عنـــد حدوده ، وتعظيمهم لحرماته ، وإيماهم العميق بأن ما جاء به من المعاني والحقائق والقيم هي مصدر العز ، وسبيل النصر والتمكين .

- عـــن طارق بن شهاب قال : خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له ، فترل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة :يا أمـــير المؤمنين، أنت تفعل هذا؛ تخلع خفيك ، وتضعهما على عاتقك ، وتأخذ بـــزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة ، ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك . فقال عمـــر : أوه لو يقل ذا غيرك أباعبيدة جعلته نكالا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله [1].

---

(١)أخرجه الحاكم-المستدرك ١/٦١-٦٢ ، وصححه ووافقه الذهبي. وابن المبارك - كتاب الزهد ص ٢٠٧.

- ومن ذلك قيامهم- رضي الله عنهم - بحمل أعباء الدعوة إلى هذا الدين ونشره في أرجاء الأرض ؛ فكانوا مشاعل هداية للأمم والشعوب ، يحملون لها النور ويضيئون لها السبيل ، ويرسمون لها المنهج الأمثل للحياة الكريمة ، يوم كانت الظلمات تحيط بتلك الأمم وتملأ أرجاء حياتها [1]. ولما لقوا الإعراض والاستكبار والصد عن سبيل الله شمروا عن ساعد الجد ، وحملوا راية الجهاد فقوضوا عروش الأكاسرة ، وطهروا بلاد الشام ومصر من ظلم القياصرة وجبروتهم ، فتفيأ أهل تلك البلاد ظلال عدلهم ورحمتهم .

- ومن صور العزة في حياة الصحابة - رضي الله عنهم- صلابتهم أمام الدعوات المضلة، والطرق المبتدعة ، فلا رواج -مع وجودهم- لبدعة ، ولا شيوع لأفكار منحرفة . ولما ظهرت بعض نزعات الابتداع أنكروها ، وقاوموها وشنعوا على أهلها .

- فقد ضرب عمر- رضي الله عنه- صبيغ بن عسل التميمي لما جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين ، ومنع الناس من مجالسته حتى تاب فأذن للناس بمجالسته [2].

- كما أمر عمر- رضي الله عنه- بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فقطعت لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة [3]،من التعلق بالآثار والبقاع التي لم يرد الشرع بفضلها .

---

(١)انظر: أخبار فارس والروم زمن الفتوحات الإسلامية : الطبري- تاريخ الأمم والملوك ٤/٩٩-١٠٠ الندوي -ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٣٨ وما بعدها .

(٢)الدارمي- السنن ١/٥٥-٥٦ .

(٣)الشاطبي-الاعتصام ١/٣٤٦ .

- وأنكـــر عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه - على قوم يجتمعون على بدعة التسبيح الجماعي بالحصى فنهاهم عن ذلك لما فيه من مخالفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، والتعبد على طريقة غير مشروعة . إلى غير ذلك مما قام به الصحابة -رضي الله عنهم- من المدافعة والإنكار لصور لانحراف في مسائل الاعتقاد والعبادة [1].مما أسهم في حفظ المجتمع وصيانته من الخلل .

- ومن صور العزة في حياتهم- رضي الله عنهم-

ترفعهم عما في أيدي غيرهم- فضلاً عن سؤالهم- فعن أنس أن عبد الرحمن ابن عوف- رضي الله عنه- قدم المدينة فآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري- رضي الله عنه- فقال له سعد:أي أخي أنا أكثـــر أهـــل المدينة مالاً فانظر شطر مالي فخذه ، وتحتي امرأتان فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها و فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق ، فدلوه ، فذهب فاشترى وباع فربح " [2].

قـــال الحافظ ابن حجر:" في الحديث منقبة لسعد بن الربيع في إيثاره على نفســـه ، ولعـــبد الرحمن بن عوف في تنزهه عن شيء يستلزم الحياء والمروءة اجتـــنابه ولو كان محتاجاً إليه .. وأن العيش من عمل المرء بتجارة وحرفة أولى لنزاهة الأخلاق من العيش بالهبة وغيرها " [3].

---

(١)انظر : ناصر العقل – الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام ص ٢٣ وما بعدها .

(٢)أخرجه البخاري ، في مناقب الأنصار، باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار .

(٣)فتح الباري ٩/٢٣٥.

بـــل إن الســـابقين الأولـــين مـــن المؤمنين لم يفرطوا في مقام العزة وهم مستضعفون في مكة ، جهراً بالحق ، وثباتاً عليه ، وصبراً على الأذى في سبيله ، وبراءة من الباطل وذماً له ، واستهانة به ، واستعلاء على سدنته .

- روى ابـــن إسحاق بسنده أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوماً فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط ، فمن رجل يسمعهموه ؟ فقـــال عبد الله بن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نـــريد رجـــلاً لـــه عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه . قال: دعوني فإن الله سيمنعني . قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها حـــتى قام عند المقام ثم قرأ " بسم الله الرحمن الرحيم " رافعاً بها صوته" الرحمن علـــم القـــرآن " [1]. قال : ثم استقبلها يقرؤها . قـــال : فتأملوه، فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ، قال: ثم قالوا: إنه ليتلوا بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه فجعلوا يضربونه في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يـــبلغ. ثم انصـــرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه . فقالوا له : هذا الذي خشـــينا عليك فقال : ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثله غداً قالوا : لا ، حسبك ، قد أسمعتهم ما يكرهون [2].

- وهـــذا أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه- قدم مكة ، فعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلم، فقال له: " ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتـــيك أمري ". قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم . فخرج حـــتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لاإله إلا الله ، و أن محمداً

---

(١)الرحمن / ١-٢.

(٢)ابن هشام ـ السيرة النبوية ١/ ٣١٥- ٣١٦

رســـول الله ، فثار القوم فضربوه حتى أضجعوه على الأرض . فأتى العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه – فأكب عليه، فقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليهم ؟ فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد بمثلها وثاروا عليه ، فضربوه، فأكب العباس عليه فأنقذه [١].

(١)أخـــرجه البخاري ومسلم واللفظ له ، البخاري في المناقب – باب إسلام أبي ذر الغفاري ، ومسلم في الفضائل – باب في فضل أبي ذر رضي الله عنه.

الخـــاتمة :

وبعد : فقد تبين من خلال الدراسة لهذه القيمة الخلقية ما يلي :

- أن أساس العزة ومنبعها هو الإيمان بالله تعالى ، ولذا فإن المسلم يزداد عزة كلما زاد إيمانه وزكت نفسه .
- أن شـــريعة الإسلام غرست بتعاليمها القويمة معاني العزة في النفوس ، كمـــا صانت الشريعة المسلم عن الذلة حتى مع قيام أسبابها- من ضعف وقلة وحاجة- بما فرضت له من حقوق ، وبما أوجبت له من حسن المعاملة وكريم المواساة .
- أن لعـــزة المسلم أسباباً علمية وعملية متى اجتهد في تحصيلها ، أدرك حظاً من العزة والرفعة بحسب ذلك .
- أن عزة الأمة المسلمة منوطة بأمور أهمها :

أولاً : الإيمـــان بالله تعالى ، والاستقامة على شرعه ، والاجتماع على ذلك ، وترك الفرقـــة والاختلاف .

ثانـــياً : صلاح ولاة الأمر فيها ، وقيامهم بواجباتهم من تربية الأمـــة ، وأمرها بالمعـــروف ، ونهيها عن المنكر، ورعاية مصالحها ، والأخذ بأسباب القوة المادية والمعنوية .

ثالثاً: استقامة الرعية، واجتماعها على ولاة الأمور، وتعاونها معهم على القيام بالمصـــالـــح، ودرء المفاســـد ، والوفاء بالحاجات والمطالب بجد وعزيمة وإخلاص .

- لقد تجلت العزة في أجمل صورها ، وأبهى حللها في جيل الصحابة - رضي الله عـــنهم-وإن بقـــيت بعد ذلك بدرجات متفاوتة -وقد جاء ذلك ثمرة خـــيرة لإيمان راسخ، وهمم شامخة، وأخلاق عالية ، وتربية فريدة ، وبذل واسع مخلص .

فهرس المصادر المراجع:

١- **أحكــــام أهل الذمة** : لابن القيم ،تحقيق: صبحي الصالح، دار العلم للمـــلايين ط٢ ، سنة١٤٠١هـــ .

٢- **الأحكـــــام الســـلطانية** : للمـــاوردي ، دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٣٧٤هـــ .

٣- **الآداب الشرعية والمنح المرعية** :لابن مفلح ، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض

٤- **أدب الدين والدنيا** : للماوردي ، دار ومكتبة الهلال – القاهرة.

٥- **إغاثـــة اللـــهفان من مصائد الشيطان** :لابن القيم ،تحقيق :محمد حامد الفقي ،مكتبة عاطف- القاهرة.

٦- **تاريخ الأمم والملوك** : لابن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية –بيروت ،ط١ سنة ١٤٠٧هـــ.

٧- **تفســـير القرآن العظيم** :لابن كثير ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ، سنة ١٣٨٨هـــ .

٨- **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير** : لابن حجر العسقلاني،تعليق عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة سنة ١٣٨٤هـــ .

٩- **الجامع الصحيح** : للبخاري ،دار إحياء ا لتراث العربي – بيروت .

١٠- **الجامع لأحكام القرآن** :للقرطبي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١١- **حلـــية الأولياء وطبقات الأصفياء**:لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي ط٤ سنة ١٤٠٥هـــ.

١٢- **رفع الملام عن الأئمة الأعلام** :لابن تيمية ،الطبعة السلفية – القاهرة .

١٣- **الروح** :لابن القيم ، دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٣٩٥هـــ .

١٤- **ريـــاض الصالحين** : للنووي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٥ سنة ١٤٠٥هـــ .

١٥- **سنن ابن ماجه** :لابن ماجه ،تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، ط٢ سنة ١٤٠٤هـ .
١٦- **سنن الترمذي** : للترمذي ،تحقيق : أحمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي .
١٧- **سنن الدار مي** : للدار مي ، دار الكتب العلمية .
١٨- **سنن النسائي** : للنسائي ، دار الفكر - بيروت .
١٩- **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية** :لابن تيمية ،دار الكتاب العربي .
٢٠- **سير أعلام النبلاء** : للذهبي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وزملائه مؤسسة الرسالة - بيروت ،ط٤ سنة ١٤٠٦هـ .
٢١- **السيرة النبوية** :لابن هشام ، دار الكنوز الأدبية .
٢٢- **شرح صحيح البخاري** :لابن بطا ل، تحقيق : أبي تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، ط١ سنة ١٤٢٠هـ.
٢٣- **شرح صحيح مسلم** : للنووي ، دار الشعب - القاهرة .
٢٤- **صحيح الجامع الصغير وزيادته** : للألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت ،ط٣ سنة ١٤٠٢هـ .
٢٥- **صحيح مسلم**: لمسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض.
٢٦- **صحيح سنن ابن ماجه** : للألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط١، سنة ١٤٠٧هـ.
٢٧- **عدة الصابرين** : لابن القيم ، دار الكتب العلمية - بيروت .
٢٨- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** : لابن حجر العسقلاني، دارالمعرفة- بيروت

٢٩- **الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني:** لأحمد البنا، دار الشهاب – القاهرة.

٣٠- **فتح القدير** : للشوكاني ، دار الفكر – بيروت ط ٣ سنه ١٣٩٣ هـ .

٣١- **فقه السيرة** : محمد الغزالي ، تخريج : محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة - القاهرة ،ط٧ ،سنة ١٩٧٦م.

٣٢- **الفوائد** : لا بن القيم ، دار الفكر .

٣٣- **القاموس المحيط**، للفيروزآباري ، دار الفكر- بيروت .

٣٤- **كتاب الزهد والرقائق** : لابن المبارك ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٥- **الكليات** : للكفوي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١، سنة ١٤١٢هـ.

٣٦- **لسان العرب:** لابن منظور، دار صا در- بيروت .

٣٧- **مــاذا خسر العالم بانحطاط المسلمين** :لأبي الحسن الندوي ، دار السلام ط١ سنة ١٣٩٦هـ .

٣٨- **مجمـوع الفـتاوى :لابن تيمية** ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم ، دار العربية للطباعة و النشر – بيروت .

٣٩- **المستدرك** : للحاكم ، دار المعرفة – بيروت .

٤٠- **المسند:** للإمام أحمد ، المكتب الإسلامي-بيروت .

٤١- **مصــادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي** : عبد الرحمن الزنيدي ، مكتبة المؤيد- الرياض ، ط١ سنة ١٤١٢هـ.

٤٢- **معجــم مقاييس اللغة:** لابن فارس ،تحقيق : عبد السلام هارون ، ط٢ سنة ١٣٩٢هـ .

٤٣- **المعجم الوسيط** : مجمع اللغة العربية ، المكتبة الإسلامية ، تركيا .

٤٤- **المغــني** : لابن قدامة المقدسي ، تحقيق : عبد الله التركي و عبد الفتاح الحلو ، هجر للطباعة والنشر .

٤٥- **مفتاح دار السعادة** : لابن القيم ،مكتبة الرياض الحديثة – الرياض .

٤٦- **المفردات في غريب القرآن** :الراغب الأصفهاني ، دار المعرفة – بيروت

٤٧- **المفهــم لمــا أشكل من تلخيص كتاب مسلم** – لأبي العباس أحمد بن عمر القــرطبي ، تحقيق محيي الدين ديب مستو وزملائه، دار ابن كثير – دمشق – بيروت ، ط٢ سنة ١٤٢٠هـ.

٤٨- **مــنهاج الســنة النبوية** :لابن تيمية ،تحقيق : محمد رشاد سالم ،إدارة الثقافة والنشــر بجامعــة الإمــام محمــد بن سعود الإسلامية – الرياض ، ط٢سنة ١٤١١هـ .

٤٩- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** :لابن الجوزي : تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي ،مؤسسة الرسالة – بيروت ،ط٢سنة ١٤٠٥هـ .

٥٠- **النهاية في غريب الحديث**:لابن الأثير،دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ.

٥١- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** : لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس .